

التفسير المطول - سورة الأنبياء 021 - الدرس 03-08 : تفسير الآيات 16 - 22 ، الحكمة من خلق الإنسان .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 1988-05-06

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

حقيقة اللعب وتنزيه الله تعالى عنه :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس الثالث من سورة الأنبياء .
وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ الحقيقة التي لا ريب فيها أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما لعباً ، إذا عرفنا معنى اللعب فهمنا الآية ، اللعب هو العمل الذي لا طائل منه ، العمل الذي لا هدف له ، العمل الذي لا يستقر ولا يستمر ، العمل الذي ليس وراءه هدف كبير ، فجئت عظمة الله سبحانه وتعالى ، وجلت حكمته ، وجلت قدرته ، وجلت أسماؤه الحسنی وصفاته الفضلى عن أن يخلق السماوات والأرض لعباً ، لم يخلقهما لعباً ، ولم يخلقهما باطلاً ، إنما خلقهما بالحق .

الحكمة من خلق الإنسان :

لو أردنا أن نتوقف قليلاً ، ونعود إلى أنفسنا ، كل منا موجوداً على هذه الأرض ؛ في المكان الفلاني ، والبلد الفلاني ، والبيت الفلاني ، له معطيات ، يا ترى أليس من المهم جداً أن يعرف الإنسان لماذا هو على وجه الأرض ؟ لماذا هو مخلوق ؟ الله سبحانه وتعالى حينما

خلقه لماذا خلقه ؟ هل ليعذبه ؟ قد يقول قائل : ليس في الأرض كلها إنسان مستريح ؛ هموم ، ومشكلات ، وظروف صعبة ، ومتاعب ، ومُنزَلات ، وأمراض ، وأوبئة ، وهم ، وحزن ، هناك مشكلة كبيرة قبل أن تتحرك أية حركة لابدّ أن تعرف الحقائق الأولى التي بُني وجودك عليها ، قبل أن تتعرّف إلى كذا وكذا ، قبل أن تقرأ الكتاب الفلاني والمقالة العلانية ، قبل أن تطلع على ما جرى في البلد الفلاني ، هذه كلها أشياء ثانوية ، يجب أن تعرف أنت لماذا وُجِدْت ؟ هل وُجِدْت عبثاً أم وجدت لعباً ؟ أم وجدت بالحق ؟ أنت لأنك جزءٌ من هذا الكون ربنا سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ ما دام ربنا سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ أنت أيها الإنسان جزءٌ من هذا الكون ، أيعقل أن تُمضي أربعين عاماً في الإعداد لحياة لا تزيد عن عشرين عاماً ؟ أليس معترك المنايا بين الستين والسبعين ؟! أليست الأجال تخطف الإنسان خطفاً ؟ هذا الذي جَمَعَه في عمره المديد ؛ من بيتٍ مريح ، من زوجة ، وأولادٍ ، وعملٍ ، ومكانةٍ ، أيخسرهُ كلُّه في ثانيةٍ واحدة ؟ ماذا بعد الموت ؟ لماذا كان الموت ؟ لماذا كان العُمُر في هذا الحد المحدود ؟ لماذا خلقنا ؟ لماذا كانت المصائب ؟ لماذا كانت الهموم والأحزان ؟ لماذا هناك تفاوت بين الناس ؟ لماذا الغنى والفقر ؟ لماذا القوّة والضعف ؟ هذه أسئلة كبيرة جداً ، هذه أسئلة مصيرية ، الإجابة عنها تحدّد مصير الإنسان ، فإذا أهملها الإنسان ، والتفت إلى دنياه ، يبحث عن رزقه قد يباغته الموت ، يأتيه فجأةً ، يكتشف عند الموت حقيقةً مرّةً ، حقيقةً تنزل عليه كالصاعقة ، هو أن هذه الدنيا ليست هي المقصودة ، ليست دار استقرار ، ليست دار فيها محطّ الرحال ، إنما هي دارٌ كالممر ليس فيها مستقر ، إنما هي إعدادٌ لحياةٍ أبدية .

أي هذه المعلومات ، وهذه الحقائق ، وإن شئت فسّمها فلسفة ، هذه قبل الطعام والشراب ، وقبل الزواج ، وقبل تأمين الرزق ، لأنك تحيا ولا تدري لِمَ تحيا ؟ وورد في الأثر : مثل المنافق كالتأفة عقلها أهلها ، فلا تدري الناقة لا لِمَ عُقِلت ولا لِمَ أُطْلِقَت ؟

لماذا الصلاة ؟ لماذا الصيام ؟ هذه الحقائق الكبرى لا ينبغي أن تبقى ، أن تأخذها عفواً ، تأخذها أو لا تأخذها ، تأخذها صحيحةً أو مشوّهة ، هذه القضية مصيرية ، أي حياتك ، سعادتك ، مستقبلك ، خريف عمرك ، زواجك ، عملك ، من دون فلسفة الإنسان قد يعمل عملاً فيه إيذاءٌ للناس ، ويدرُّ عليه أرباحاً طائلة ، ويحسب أنه بهذا العمل متفوقٌ ونكي ، فلذلك الله سبحانه وتعالى حينما يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ نحن جزءٌ من هذا الكون ، بل إن الكون كُله مسخَّرٌ من أجلنا . .

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)

سورة الجاثية

بل إن الخلق كلّه والخلق ما سوى الإنسان مسخَّر لهذا الإنسان ، أيعقل أن يكون هذا الإنسان قد سُخِّرَت له السماوات والأرض وهو لا يدري لِمَ هو على وجه الأرض ؟ كم يكون جاهلاً ، كم يكون ضالاً ، كم يكون تائهاً ، كم يكون ضائعاً ، كم يكون شارداً ، لو كانت حياته خاليةً من هدفٍ يسعى إليه ، لو أن حياته خاليةً من عملٍ جليلٍ يعرضه على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة .

طلب العلم فرض عين :

فيا أيُّها الإخوة المؤمنون ، أردت من هذه الأسئلة التي طرحتها عليكم أن تتيقنوا أن طلب العلم ليس فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الكل ، لا والله ، طلب العلم فرض عين ، أي على كل إنسان مهما تكن صنعته ، مهما يكن اختصاصه ، مهما تكن ثقافته ، مهما تكن مكانته ، مهما تكن وجاهته فرض عين ، إنك إن لم تعلم وقعت في شرِّ عمك ، فالإنسان بدافعٍ من حرصه على سلامته ، وهذا الحرص على سلامته فطرة ، بدافعٍ من حرصه على نجاحه ، على تفوّقه ، عليه أن يعلم ، ومعنى عليه أن يعلم أي عليه أن يأخذ العلم عن الرجال ، وقد قال ابن عطاء الله السكندري : " من لم يأخذ هذا العلم عن الرجال فهو ينتقل من مُحَالٍ إلى مُحَال " ، والله سبحانه وتعالى يقول :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

سورة التوبة

والله سبحانه وتعالى يقول :

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)

سورة الكهف 28

الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض بالحق :

أردت من هذه المقدمّة هذا الموضوع خطير جداً ، ما دام الله سبحانه وتعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما لأعباً ، وما خلقهما باطلاً ، إنما خلقهما بالحق ، ما هو الحق ؟ الحق خلاف اللعب ، الحق خلاف الباطل ، اللعب هو الشيء العابث الذي لا هدف له ، والباطل هو الشيء الزائل والزاهق ، فالحق إذاً هو الشيء الثابت الهادف ، أي أنت خلقت

لتبقى ، وما الموت إلا نقطة تحوّل في خط سيرك ، ثياب تخلعها هذا هو الموت ، أنت أنت ، كل نفس ذائقة الموت ، أنت أنت ، لكن في الحياة لك بُنية ، هذا الجسد محيطٌ بهذه النفس ، بعد الموت هذه النفس تحيط بهذا الجسد ، في الحياة سعيٌ لكسب الرزق ، والحياة فيها تناقض ، بينما الحياة في الدار الآخرة ليس فيها سعيٌ لكسب الرزق ، إذ ليس فيها حسد ، ولا تنافس ، ولا حزن ، ولا أي مرض يحول بين الإنسان وبين بلوغ سعادته ، وفي الآخرة يوجد تزايد .
 فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ** ﴾ . .

حقيقة الإسلام :

الحقيقة الإنسان حينما يظن دينه ينتهي عند حضور مجلس علم من دون أن يدخل في صميم هذا الموضوع ، حضر ، يقول لك : تباركنا ، كلام ليس له معنى ، ما معنى تباركت هذه ؟ يقول لك : والله الحمد لله أنا أصلي الأوقات الخمس ، أي بني الإسلام على خمس ، الصلاة دعامة ، وليست هي الإسلام ، والصوم دعامة ، وليس هو الإسلام ، والحج دعامة ، وليس هو الإسلام ، والزكاة دعامة ، وليست هي الإسلام ، وإعلان الشهادة دعامة ، وليس هو الإسلام ، الإسلام شيء آخر .

سيدنا جعفر بن أبي طالب سأله النجاشي - ملك الحبشة - حدثني عن الإسلام ، فأجابه بقوله :

أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسَيِّئُ الْجَوَارِ ، يَاكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الصَّعِيفُ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّنْ نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ وَعَقَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوحِدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَائِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّيَامِ ، فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَا ، وَأَمَنَا بِهِ ، وَاتَّبَعْنَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَدُّبُونَا ، فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ .

إسناده صحيح أخرجه أحمد باختلاف يسير ، وأبو نعيم في (حلية الأولياء))

هذه هي الجاهلية ، وربنا عز وجل قال :

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)

سورة الأحزاب

إشارة دقيقة جداً إلى أن هناك جاهلية ثانية ، هذه دفعة أولى ، ما معنى هذا ؟
المعنى أن هناك دفعة ثانية ، أما هذا الرصيد فيحتاج إلى بحث آخر .. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .. ((كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ
، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنَسِيءُ الْجَوَارِ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُؤَدِّهُ ، وَنَعْبُدَهُ
، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ
الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ)) . .

هذا هو الإسلام ، بناء أخلاقي ، الإسلام يسمو بالإنسان ، يجعله إنساناً صالحاً
للتعم في الجنة إلى ما شاء الله ، الدنيا دار إعداد ، دار تكليف ، دار عمل ، والآخرة دار جزاء
، ودار نعيم مقيم ، لا قلق ، ولا حزن ، ولا شقاء ، ولا خوف ، ولا ارتفاع حر ، ولا انخفاض
برودة ، ولا ضيق ، ولا قهر ، ولا فقر ، ولا مزعجات ، ولا مقلقات ، ولا مخاوف ، ولا أحزان ،
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ :
قال الله تبارك وتعالى : **أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُدُنُّ
سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** . قال أبو هريرة : **أَفْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة : 17]** .

متفق عليه

جوهر السعادة في طاعة الله والعبودية له ومعرفته :

يا أيها الإخوة الأكارم ، والله الذي لا إله إلا هو لو أن الإنسان سمع هذا الكلام
الواضح كالشمس ، المأخوذ من كتاب الله ، المأخوذ من هذا الدستور ، لو أن الإنسان سمعه ولم
يأخذه مأخذاً جدياً ، ولم يبلغ من نفسه مبلغاً يدفعها إلى تغيير سلوكها ، والله الذي لا إله إلا هو
سوف تطول حسرته يوم القيامة لأنه عرف الحق ، وحاد عنه ، أي حضور هذا الدرس مسئولية
كبيرة ، هناك دروس تحضرها فتستمتع لما فيها من طُرف ، فيها طرائف لطيفة ، فيها حكايا ،
فيها قصص ، فيها أشياء مسلية ، هذا درسٌ ممتعٌ غير نافع ، وهناك درسٌ نافعٌ غير ممتع ،
وهناك درسٌ تحضره فتبدأ متاعبك ، أيَّة متاعب ؟ لأن هذه الآيات تضعك أمام مسئولية كبيرة ،
تضعك أمام مصير ، تضعك أمام رسالة أنت مكلفٌ بحملها ، تضعك أمام هدفٍ أنت مكلفٌ أن

تسعى إليه ، فذلك قضية : والله سمعنا الدرس ومشينا ، والله الدرس كان لطيفاً ، ممتعاً ، اللغة جيدة ، والله هناك إقبال شديد ، ما شاء الله ، هذه كلها كلمات لا تقدّم ولا تؤخّر ، الذي يقدم ويؤخّر أين أنت من هذا الدرس ؟ هل عرفت أن الله سبحانه وتعالى قد خلقك لهدف كبير ؟ ما هو هذا الهدف ؟ هل عرفته ؟ هل سألت عنه ؟ إذا عرفت هذا الهدف كل حركاتك في الدنيا يجب أن تُستنبط من هذا الهدف ، فمن عرف أن الله سبحانه وتعالى خلقه ليسعد في الدنيا والآخرة ، وأن جوهر السعادة في طاعة الله ، والعبودية له ، ومعرفة ، عندئذ لا يختار عملاً يكسب منه رزقه لا يرضي الله ، صار اختيار عملك له علاقة بدينك ، اختيار الزوجة له علاقة بالدين ، اختيار تمضية أوقات الفراغ له علاقة بالدين ، ليس من السهل أن تمضي وقتاً فراغاً فيما لم تُخلق من أجله ، النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان صغيراً كان يُدعى إلى اللهو ، وكما ورد بالأثر : لم أُخلق لهذا .

أي هذا النمط المسلم ، طبعاً المسلم لا يرتكب كبيرة ، لا يسرق ، ولا يزني ، ولا يشرب خمرًا ، ولكن حياته مثقلة بالصغائر ، هذه الصغائر كالكبائر في المفعول ، في النهاية كالكبيرة تحجبكم عن الله سبحانه وتعالى ، فإذا أطلق الإنسان بصره ، إذا استمع إلى صوت قَيْنَةٍ ، إذا اختلط مع نساءٍ لا يحلن له ، إذا أكل درهماً من حرام ، إذا أنفق المال في غير محلّه ، إذا تساهل في تربية أولاده ، إذا تساهل مع زوجته ، عصت الله سبحانه وتعالى فأقرّها على هذه المعصية ، هذه كلها في ظنّه صغائر وهي في الحقيقة كالكبائر ، ونحن في رمضان .

حقيقة طلب العلم :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ لئلا يعتب أحدٌ على هذه المجالس يقول : حضرتها عشر سنوات ، وما أفادتي شيئاً ، إن لم تُطبّق فلن تستفيد ، هذا الدرس وصفة ، إن لم تأخذ الدواء بالتمام والكمال وفق التعليمات التي وصفها الطبيب فلن تشعر بالراحة ، فذلك أن تحضر الدرس بُغْيَةَ الاطلاع شيء ، أن تحضره بغية تمضية وقت الفراغ شيء آخر ، أن تحضر الدرس من أجل أن تعرف الله ، ومن أجل أن تكون هذه المعرفة أساساً في تعاملك مع الله ، وتعاملك مع الناس ، وفي زواجك ، وبيعك ، وشرائك ، وعملك هذا شيء آخر .

فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ وكما ورد في كتاب تاريخ الإسلام : " يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ سَمِّرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدٌّ " .
الأمر جدٌّ .

قال لي أخ كريم قبل أسابيع : صديق له يمشي في الطريق وقع ميّتا ، حالات الوفاة المفاجئة كثيرة جداً ، كلكم تعلمون إلى أين ذهب هذا الإنسان ؟ ماذا أعدّ لهذه الرحلة الطويلة ؟ والله رحلة إلى مدينة قريبة جداً تُحَطِّط لها ساعات طويلة ، تكتب الحوائج على قوائم ، قد أحتاج إلى كذا وكذا ، كلُّه يُسَجَّل ، ويُحَصَّر ، ويُعد ، ويوضع في حقائب ، هذه الرحلة الطويلة يعطونك تأشيرة خروج بلا عودة ، فلا يوجد رجعة ، رحلة أبدية ، ماذا أعددت لها ؟ قال رجل : **إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَا فَعَلْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ فَتَطْلُبِ الْغَرَائِبَ ؟ قَالَ : وَمَا رَأْسُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ فِي حَقِّهِ ؟ قَالَ : مَا شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : عَرَفْتَ الْمَوْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَعَدَدْتَ لَهُ ؟ قَالَ : مَا شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : انْطَلِقْ فَأَحْكِمْ مَا هَاهُنَا ثُمَّ تَعَالِ أَعْلِمَكَ غَرَائِبَ الْعِلْمِ .**

ابن عراق الكناني : تنزيه الشريعة : حكم المحدث : مرسل

السؤال لكم : إذا كنت قد عرفت الله ما الموقف الذي وقفته من أجله ؟ ماذا أعطيت من أجله ؟ ماذا منعت من أجله ؟ من صاحبت من أجله ؟ من عاديت من أجله ؟ ما العادة التي تركتها من أجله ؟ ما العادة التي فعلتها من أجله ؟ هذا سؤال أسأله نفسك دائماً : ماذا صنعت من أجل الله ؟ إذا أردت أن تعرف ما لك عند الله فانظر ما لله عندك ، إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم أقامك ؟ إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم استعملك ؟ فهذه الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْبِينَ ﴾ ليس من قبيل العبث . .

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)

سورة المؤمنون

أي لعباً ، بلا هدف ، هكذا ، يفتني الإنسان ، ويأكل ما لا حراماً ، ويستمتع بالدنيا كما يشاء ، ويموت ، وانتهى الأمر ، هكذا ؟ ويفتقر إنسان آخر ، ويذوق الأمرين ، ويموت ، هكذا ؟ لا يوجد آخرة ؟ لا يوجد جزاء ؟ أين اسم الله الحق ؟ أليس الحقُّ اسماً من أسماء الله ؟ إذا كسب الإنسان المال الحرام ، واستمتع به طوال حياته ، ومات معززاً مكرماً ، وإنسان آخر ذاق مرارة البؤس والحرمان ، ومات ، وانتهى الأمر ، أين اسم الحق ؟ أليس الله هو الحقُّ المبين ؟

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء وفي الآخرة توزيع جزاء :

لذلك يا أيها الإخوة الأكارم ، ورَّع الله سبحانه وتعالى الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء ، جعل الغني غنياً وابتلاه بالغنى ، هل يكون شاكراً ؟ سخياً ؟ هل يعرف حقَّ الناس جميعاً ؟ ورد في بعض الآثار : حُشِرَ الأغنياء أربع فرقٍ يوم القيامة ؛ فريق جمع المال من حرام ، وأنفقه في حرام فيقال : خذوه إلى النار - هذا حسابه سريع جداً ، كلمة واحدة - وفريق جمع المال من حلال ، وأنفقه في حرام فيقال : خذوه إلى النار ، وفريق جمع المال من حلال ، وأنفقه في حلال فيقال : خذوه إلى النار ، وفريق جمع المال من حلال ، وأنفقه في حلال قال : هذا قفوه فاسألوه .

هذا حاسبوه ، هذا الذي يُحاسب ، أما الذي جمع المال من حرام وأنفقه في حرام ، أو جمعه من حلال وأنفقه في حرام ، أو جمعه من حرام وأنفقه في حلال ، هذا إلى جهنم وبئس المصير ، أما الذي جمعه من حلال وأنفقه في حلال فهذا يقال له : قفوه فاسألوه : هل قصر في صلاة ؟ هل قصر في تأدية الحقوق ؟ هل قال من حوله : يا رب لقد أغنيته بين أظهرنا فقصر في حقنا ؟ هل ماله جعله يتكبر على خلق الله ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام لبلاغته الرائعة قال ليعبر عن شدة السؤال قال : وما زال يُسأل ويُسأل ، أي انتظر ، انتظر ، انتظر ، هناك قائمة أسئلة طويلة جداً ، فتركه ومشى ، فما زال يسأل ويسأل ، فالموضوع خطير جداً ، أي أنت مخلوق لهدف كبير ، هل عرفت هذا الهدف ؟ لك رب عظيم هل عرفت هذا الرب ؟ له منهج ، هل عرفت هذا المنهج أولاً ؟ هل طبقتَه ثانياً ؟ أم ماذا كنت تصنع ؟ أحياناً أحد الإخوة الحاضرين يرفع معنويات الداعية إلى أعلى درجة إن كان ملتزماً ، مطبقاً ، عند الأمر والنهي ، وشخص آخر يحضر الدروس ، ولا يطبق ما جاء فيها ، هذا الإنسان يخفض معنويات الداعية إلى أدنى درجة ، فإذا كلَّمَا عَرَضَ لك شيء من الحق اسأل نفسك هذا السؤال : أين أنا من هذا ؟ هل أنا مطبق ؟

الإنسان مخلوق للعبادة :

إذاً الله سبحانه وتعالى ما خلق السماء والأرض وما بينهما لاعباً ، لاعبين ، بمعنى أن اللعب العمل العابث الذي لا هدف منه ، جلَّ وعلا ، تنزهت أسماؤه ، وتنزهت ذاته عن أن يخلق الكون عبثاً ، لاعباً من دون هدفٍ عظيم ، ما هو هذا الهدف ؟

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

سورة الذاريات

ما هي العبادة ؟ طاعة طوعيّة ، لو أن هذه الطاعة قسرية لما كانت عبادة ، طاعة طوعيّة ، تسبقها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، إذا أنت أيها المخلوق خلقت من أجل أن تسعد إلى الأبد . .

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

سورة هود

إنّ الإنسان خُلِقَ ليسعد بالله سبحانه وتعالى إلى الأبد ، خلقت لك السماوات والأرض من أجلك فلا تتعب ، وخلقتك من أجلي فلا تلعب ، فبحقّي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك .

من ظنّ أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعباً ولهواً فهو ضال مضل :

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ أي سبحانه الله أن

يخلق الحياة لهواً ، لكن فرضاً لو أن الله سبحانه وتعالى - وهو أعظم وأجلّ من ذلك - أراد أن يخلق السماوات والأرض لهواً ولعباً لما كان هذا الله واللعب على حساب الناس ، هناك زلازل ، هناك مصائب ، هناك مجاعات ، هناك أمراض ، هناك فقر ، هناك قهر ، هناك أناس معذبون ، لو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يلهو لما كان الإنسان ضحية هذا الله ، مستحيل ، هذا لا يتناسب مع رحمته جلّ وعلا ، ولا مع عدالته ، ولا مع عظمته ، ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ أي إذا أراد الإنسان أن يتسلّى بتجريب قلم ، أيجرّبه على جدول علامات طلاب الاختصاص في الصف الرابع الجامعي ؟ يضع هنا صفراً ، خطّه جميل ؟ صفر ، صفر أي أنك رسّبت ، تجرّب قلماً على حقل العلامات ؟ أيعقل هذا ؟ أن يجرب القلم على حقل علامات لاختصاص الصف الرابع ؟ سيئتي على التخرّج مصالِح كبيرة جداً ، لماذا أنا رسبت يا أستاذ ؟ يقول : والله كنت أجرّب القلم فوضعت هنا صفراً ، هذا كلام غير معقول ، معقول الله عزّ وجل يخلق السماوات والأرض لهواً ولعباً على حساب الناس ؟ جهنّم ملئت ، لماذا ؟ هكذا ، ما معنى هكذا ؟ أيعقل أن يُبنى سجن فخمّ ويُساق الناس جميعاً إليه ؟ لماذا ؟ لإملاء السجن ، أيعقل هذا ؟ فالذي يظنّ أن الله سبحانه وتعالى يخلق الخلق لعباً ولهواً هذا ضال مضل ، طبعاً الناس يقولونها بأساليب أخرى ، يقول لك : سبحان الله ! لا أحد مرتاح ، ما معنى هذه الكلمة ؟ معناها كأن الله عزّ وجل خلق الناس ليعذبهم ، لا والله . .

ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ (17)

سورة سبأ

اسمعوا كلام ربنا عزّ وجل :

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)

سورة النساء

واسمعوا كلام ربنا عز وجل :

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)

سورة الشورى

حصراً . .

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)

سورة الكهف

الآيات التي تؤكد أن كل مصيبة دقت أو جلت إنما هي بسبب ذنب أو حكمة أو ظلم اقترفه الإنسان ، ورد في الأثر : ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ، وما يعفو الله أكثر .

إذاً : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهَوًا لَا تَخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ولكن سبحانه وتعالى سبحانه عن أن يكون لاعباً في خلق السماوات والأرض ، سبحانه عن أن يخلق السماوات والأرض عبثاً ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ ، اسمعوا الآية الثانية :

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)

سورة القيامة

هكذا من دون شيء ، ظلمت ولا شيء ، مظلوم من دون شيء ، من دون أن يأخذ حقه ، لا يصح ، أحد أسباب الإيمان باليوم الآخر أن الله سبحانه وتعالى من أسمائه الحق ، وأن الحق هو الذي يجب أن يُقام إلى الأبد يوم القيامة ، أحياناً إنسان يظلم زوجته ، يأكل مالها ويطلقها ، وانتهى الأمر ؟ لا يوجد إله يحاسبه ؟ أو شريك يتعلم من شريكه المصلحة وبعدها يضعه خارج المحل ، يقول له : المحل لي ، والإيجار باسمي ، أخي هذه نقودك ، وضع له خمسين ألفاً عام 1970 ، ويقول له : هذه خمسون ألفاً ، ما هذه الخمسون ألفاً هذه الآن قيمتها خمسمئة ألف ؟ يعطيه خمسين ألفاً ويقول له : مع السلامة ، أين الله ؟ هذا الذي يظن أن الإنسان بذكائه يحصل المال ، وأن القوي هو بقوته يأكل أموال الناس ، هذا هو الضلال بعينه ، وربنا عز وجل ما خلق السماوات والأرض وما بينهما لاعباً .

الباطل إلى زوال واضمحلال :

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهَوًا لَا تَخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ الله عز وجل جعل الحق كأنه صخرة صماء أقيت على الباطل فسحقته ،

الباطل هذه التخرُّصات ، الباطل هذه الضلالات ، الباطل أن الدنيا هي كل شيء ، وأن القوي هو الذي يعيش في هذه الدنيا ، يقول لك : البقاء للأقوى ، كأنه لا يوجد إله ، الأقوى يأكل الأضعف وانتهى الأمر ، هذا باطل ، أو أن هناك في عام كذا مجاعة كبرى ، لماذا ؟ لأن البشر يتوالدون بسلسلة هندسيّة ، بينما الغذاء بسلسلة عدديّة ، إذاً هناك نقص في المواد ، إذاً أين الله الرزّاق ذو القوّة المتين ؟

أحياناً يفاجئ الناس بأمطار مذهلة ، يقول لك : هذا العام توجد محاصيل لا يعلمها إلا الله ، محاصيل قمح ، ومحاصيل قطن ، ومحاصيل فواكه ، وأشجار مثمرة لا يعلمها إلا الله ، معدّل الأمطار في دمشق مئتان ، أو مئة وخمسون ، السنة مئتان وخمسون أو ثلاثمئة ، الله عزّ وجل إذا أعطى أدهش ، هذا الباطل أنه لا يوجد إله ، القضية هكذا ، الحياة هي كل شيء ، الموت نهاية كل شيء ، الحق للأقوى ، الأقوى يأكل الأضعف ، هناك نقص في المواد ، هذه أفكار الشياطين ، أفكار الكفّار ، الشيطان أساساً :

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)

سورة آل عمران

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)

سورة البقرة

هذه لوازم الشيطان ، يخوّف ، ويأمر بالفحشاء ، ويعد بالفقر ، فكلّما جاءتك خواطر : إياك أن تتفق مالك ، المال ثمين جداً ، الأمور صعبة تضيق في المستقبل ، هذا من الشيطان ، إذا جاءك خاطر يمنعك من أن تتفق المال في سبيل الله بدعوى أن المال أصبح شيئاً ثميناً جداً ، وأصبح تحصيله صعباً ، وأصبحت الحاجات باهظة التكاليف ، وأنت أولى بهذا المال ، قل : هذا هو الشيطان بعينه . ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾ هذه يعدّكم الفقر ، أما إذا جاءك خواطر : لا تصل ، أفضل ، لا تصم أفضل . ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾ فالشيطان يخوّف ، ويعد بالفقر ، ويأمر بالفحشاء ، فأبي خاطر من هذه الأبواب الثلاث فهو حصراً من الشيطان . .

قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)

سورة سبأ

عَنْ أَبِي كَثْبَةَ الْأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

ثَلَاثٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزًّا فَاعْفُوا يُعْرِكُمُ اللَّهُ وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ .

الترغيب والترهيب : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما : أخرجه الترمذي ، وأحمد

عن عبد الله المحدث :

حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء .

رواه أبو داود بسند ضعيف

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ (103)

سورة التوبة

فهذه الأفكار أن الله خلق الناس ليعذبهم ، أو أن الله خلق الناس ليزعجهم ، أو أن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا هي كل شيء ، وأنه لا شيء بعد الموت ، هذا الباطل أفكار الشيطان .

أي دعوة باطلة يدمغها الحق :

﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾ معنى يدمغه أي يهشمه ، ينتهي ، لو ضُربَ الإنسان على دماغه بحجر هكذا من مسافة بعيدة ، وأصاب الحجر الهدف ، فأصبح الدماغ أشلاء ، طبعاً مات الإنسان ، هذه معنى يدمغه أي يحطمه . ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾

أي كل دعوة في التاريخ الإسلامي أرادت أن تطفئ نور الله ألم يدمغها الله سبحانه وتعالى ؟ اقرأ التاريخ ، لا توجد دعوة أرادت إطفاء نور الله إلا دُمِغَتْ لقوله تعالى : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾ أي تغيير لهذا الكتاب ، أي تحوير ، أي تبديل ، أي شيء وضعي يُرجى له أن يحلَّ محلَّ الشيء الإلهي فَيَدْمَغُهُ ﴿ **فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ .

بعض الصحفيين في دولة أجنبية متقدمة جداً يرى أن نهاية التحضر قطع يدي السارق ، لأن ستة عشر مليون سرقة تمت في سنة واحدة ، وفي مجتمعات يُطبَّق فيها حكم الله السرقات تُعدُّ على أصابع اليد ، لذلك قال أحد الشعراء سائلاً الإمام الشافعي :

يَدْ بَعْشَرِ مِئِينَ عَسْجِدٍ وَدَيْتِ مَا بِهَا قُطِعَتْ فِي رِبْعِ دِينَارٍ ؟

* * *

مفارقة عجيبة . يَدْ بَعْشَرِ مِئِينَ أي ألف دينار ذهبي ديتها لو قُطِعَتْ بحادث .

يَدْ بَعْشَرِ مِئِينَ عَسْجِدٍ وَدَيْتِ مَا بِهَا قُطِعَتْ فِي رِبْعِ دِينَارٍ ؟

* * *

فقال الإمام الشافعي :

عزُّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

* * *

لَمَّا كَانَتْ أَمِينَةً كَانَتْ ثَمِينَةً فَلَمَّا خَانَتْ هَانَتْ ، إِذَا : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .

أُبِيحُ الطَّلَاقُ فِي إِيطَالِيَا فَقَدِمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَلِيُونٌ طَلَبَ ، دَائِمًا الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَسْتَقِرُّ ، فِي بَعْضِ الْبِلَادِ مُنِعَ الزَّوْجُ مِنْ تَطْلِيقِ زَوْجَتِهِ ، فَإِذَا طَلَّقَهَا فَلَهَا نِصْفُ مَالِهِ قِطْعًا ، فَوْرًا ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، مَاذَا كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ ؟ أَنْ سَوَّقَ الزَّوْجُ الْقَدِيمَ ، فَصَارَ الْوَالِدُ يَرْجُو خَطِيبَ ابْنَتِهِ أَنْ يَقْبَلَ بِابْنَتِهِ ، وَيُعْطِيهِ سِنْدًا بِالْأَمَانَةِ فِيمَا لَوْ طَلَّقَهَا فَاسْتَحَقَّتْ نِصْفَ مَالِهِ ، فَالْمَبْلُغُ جَاهِزٌ سَلْفًا ، أَيُّ مَحَاوَلَةٍ لِتَغْيِيرِ شَرَعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُنَاكَ نَتَائِجٌ خَطِيرَةٌ جَدًّا ، لِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ .

صحيح الترمذي

إِذَا كُنْتُمْ تَرِيدُونَ شَرْوَطًا صَعْبَةً ، تَرِيدُونَ بَيْتًا مَوْقِعَهُ مَمْتَازٌ ، وَمَرْكَبَةً جَيِّدَةً ، وَدَخْلًا كَبِيرًا ، ((إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)) .
وربنا عزَّ وجل قال :

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)

سورة البقرة

المخلوقات كلها لله ملكاً وتصرفاً ومصيراً :

الآيات التالية : ﴿ وَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له ملكاً ، وَتَصَرَّفًا ، وَمَصِيرًا ،
قَدْ تَسَكَّنَ بَيْتًا وَلَا تَمْلِكُهُ ، وَقَدْ تَمْلِكُهُ وَلَا تَسْكُنُهُ ، وَقَدْ تَمْلِكُهُ وَتَسْكُنُهُ ، وَفِي النِّهَايَةِ لَيْسَ لَكَ ، يُنْظَمُ ، يُسْتَمَلَكُ ، فَأَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْمَلَكِيَّةِ أَنْ تَمْلِكَهُ ، وَأَنْ تَطْلُقَ يَدَكَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَصِيرُ لَكَ ، أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ دَرَجَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَلِكِ ، وَالتَّصَرُّفُ ، وَالْمَصِيرُ ، فَرَبْنَا عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿ وَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قَالَ : مَلَكًا ، وَتَصَرَّفًا ، وَمَصِيرًا . ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ أَيُّ يَبْعُدُونَهُ لَيْلًا نَهَارًا ،

وحيثما يعبدونه لا يَتَحَسَّرُونَ على هذه العبادة ، لأن الله سبحانه وتعالى كافأهم عليها أضعافاً مضاعفة .

كل الآلهة سوى الله مخلوقة :

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) ﴾ أي هذه الآلهة آلهة من الأرض ، أي مصنوعة من الحجارة ، آلهة من الأرض ، من جنس الأرض ، وهناك آلهة من تمر ، قبيلة ود صنعت إلهاً لها من تمر ، فلماً جاءت أكلته ، فالعرب قالت : " أكلت ود ربها " ، أكلته لأنها جائعة ، وهناك شاعر رأى صنماً يبول الثعلبان على رأسه فقال :

أربُّ يبول الثعلبان برأسه !؟ لقد ضلَّ من بالث عليه الثعالب

* * *

أهذا إله هذا ؟! فهذه الآلهة من الأرض ، صنم أي حجر . .

قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)

سورة الصافات

أنتم والحجارة .. ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ هل بإمكان هذه الآلهة أن تبعث الموتى من القبور ؟ مستحيل .

من صفات الإله أنه كامل القدرة :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ يصير هناك تنازع ، من صفات الإله أنه كامل القدرة ، فإذا وجد إله آخر بنفس القدرة فإنهما يتنازعان ، تفسد السماوات والأرض ، بعضهم فسّر هذه الآية : " لو أن في الكون آلهة إلا الله لما كانت السماوات والأرض " ، هذا معنى لفسدتا .

والمعنى الآخر : لو أن في الكون آلهة غير الله لم تُقم السماوات والأرض على هذا النظام البديع ، الآن مدرسة عين لها مديرتين تخرب ، معمل ضع له مديرتين يخرب ، بيت تتنازع الأم والأب في تربية الأولاد يفشل الأولاد ، كلما زجرت ابنها يقول لها : لا ، اتركيه ، أنا أحب أن أعطيه حرية ، في النهاية يصبح الولد مائعاً ، إذا كان الأب يربي والأم تربي ، مركب له

قائدان يتحطم ، الطائرة لها ربّان واحد ، الثاني مساعد ، إذا صار له حادث ، هل من الممكن أن يقود الاثنان الطائرة ؟ تقع الطائرة ، هل يوجد قطار له ربّانان ؟ هل رأيتم مركبة أرضية - سيارة - لها مقودان بجانب بعضهما ؟ هذا هكذا وهذا عكسه ، لا يمكن هذا أن يحدث . ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لا يوجد إلا إله واحد ، لا إله إلا الله ، الحياة فيها أمثلة ، أحياناً يكون هناك محل ، فيه شريكان ، الاثنان رؤوس يتنافسان ، يحطمان المحل ، وبعد هذا يتفاككان ويفلسان ، يريد أن يغيظه ، لا ، لا تنفع هذه البضاعة ، لا نربح منها ، هذا يربح ، هذا يرفع السعر ، المحل لا يستقيم بقيادتين ، ولا مركبة ، ولا سيارة ، ولا طائرة ، ولا سفينة ، ولا أسرة ، ولا معمل ، ولا مدرسة ، ولا أي مكان في العالم إلا قيادة واحدة ، لذلك خالق واحد ، وربّ واحد ، وإله واحد ، وقرآن واحد ، ونبى واحد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ سوف نقف عند هذه الآية بفضل الله وعونه وتوفيقه في درس قادم إن شاء الله تعالى نشرح معنى قوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ .

والحمد لله رب العالمين